

الإعلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ

وبعد:

فبناءً على تكليف من وزارة الأوقاف، قمتُ بإعداد هذا البحث المتواضع عن الإعلام ودوره في بناء المواطن دينياً وفكرياً واجتماعياً، وهو موضوع من الأهمية بمكان.

وقد بدأتُ البحث بتعريف للإعلام لغةً واصطلاحاً، ثم ذكرتُ العناصر اللازمة للإعلام، ثم تكلمتُ عن أهمية الإعلام وخطورة الإعلام عالمياً، والإعلام العربي، وكيف أنه يسير في فلك الغير، وأنه نشأ في أحضان مؤسسات أجنبية. ثم أخذتُ في الحديث عن الأضرار الناتجة عن الإعلام، وهي أضرار اقتصادية، وأضرار دينية، وأخلاقية، واجتماعية، وأضرار فكرية، واستدعى البحث في الأضرار الفكرية أن نتطرق إلى الاستشراق والتبشير، واستخدامهما للأجهزة الإعلامية في بث أفكارهما وسمومهما الخبيثة.

ولما كان لهذه الأضرار آثارها المدمرة، فإنه كان لا بد من مقترحات للإصلاح، فذكرتُ بعضاً منها مما يليق ببحثٍ وجيز.

وأخيراً، ختمتُ بموجزٍ لما جاء في البحث، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

تعريف الإعلام

الإعلام مصدر لفعل "أَعْلَمَ"، وأصله "عَلِمَ"، والعلم نقيض الجهل، فمعنى "أعلمه" أي أزال ما عنده من جهل بموضوع ما.

جاء في لسان العرب: "علمتُ الشيء أعلمه علمًا، عرفتُه". وقال ابن بري: "ونقول: عَلِمَ وفقه، أي: تَعَلَّمَ وتفقه". وقال: "وعِلِم الشيء شعر، وعِلِم الأمر وتَعَلَّمه أتقنه".

وفي المصباح، "عِلِم" إذا كان بمعنى "عَرَف" تعدى إلى مفعول واحد، وقد يصير بمعنى "شَعَرَ". وقد يُعدى بهمزة النقل، فيقال: "أعلمته بكذا"، أو بالتشديد (التضعيف)، فيقال: "عَلَّمته بكذا" أو "عَلَّمته كذا".

وفي مختار الصحاح: "واستعلمه الخبر فأعلمه إيّاه".

وتدور هذه المادة على ترك علامة أو أثر في الشيء، أو على الإخبار بالشيء، أو على تعليم العلم، أو التعريف بالخبر. ويضيف الراغب الأصفهاني إلى ما ذكر ما يدل على طبيعة الإعلام، فيقول: "وأعلمته وعَلَّمته في الأصل واحد، إلا أن الإعلام اختص بما كان بإخبار سريع، والتعليم اختص بما يكون بتكرار وكثافة حتى يُجعل منه أثر في نفس المتعلم".

هذا معناه في اللغة.

أما في الاصطلاح، فقليل فيه:

هو تزويد الناس بالأخبار الصحيحة، والمعلومات السليمة، والحقائق الثابتة، التي تساعد على تكوين رأي صائب في واقعة من الوقائع أو مشكلة من المشكلات، بحيث يُعد هذا الرأي تعبيرًا موضوعيًا عن عقلية الجماهير واتجاهاتهم وميولهم⁽¹⁾.

وهذا يعني أن الغاية من الإعلام هي الإقناع بالرأي عن طريق المعلومات والحقائق والأرقام والإصدارات ونحو ذلك.

(1) دور الاعلام في خدمة الدعوة الإسلامية للدكتور، محمد محمود متولي، (ص4).

لكن، هل يقتصر دور الإعلام على نقل الأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة والحقائق الثابتة، أم أنه في الواقع ينقل الصحيح وغير الصحيح، ويرّوج للأفكار ولو كانت فاسدة، كما يرّوج للسلع والبضائع بتزيينها للناس، ولو كانت غير صالحة.

وهل المطلوب من الإعلام أن يكون تعبيراً موضوعياً عن عقلية الجماهير واتجاهاتهم وميولهم، أم أن المطلوب هو تغيير الاتجاهات والميول إلى الصالح أو إلى الأصلح.

وإذاً، فإن هذا التعريف لا يتفق مع الواقع، ولا مع ما يريده الإسلام، والإعلام في الإسلام يقابله "الإبلاغ" أو "التبليغ"، وهو ليس انعكاساً لعقلية الجماهير، وإنما هو تعاليم سماوية، وإرادة إلهية، تقضي بانتشال الجماهير من الحيرة والضلال.

والإبلاغ في الإسلام ليس مساعداً على تكوين رأي صائب في مسألة ما، وإنما هو تصحيح لمسار الفكر في مجتمع من المجتمعات، أو أمة من الأمم، أو العالم كله، كما هي حقيقة الإسلام، وقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي: أعلم الناس بما أنزل الله إليك.

العناصر اللازمة للإعلام

مما لا شك فيه أن الإعلام عملية يتم فيها التفاهم بين فرد وفرد، أو بين فرد ومجموعة من الأفراد، أو بين فرد وأمة، أو نحو ذلك.

ولا بد أن يتوفر في هذه العملية ما يُراد توصيله من طرف إلى آخر، وهو المبدأ أو الخبر أو ما يُسمى "الرسالة".

وهذا يحتاج إلى من يحمله ويوصله أو يبلغه للغير، ويحتاج إلى من يستقبله. وبناءً عليه، فإن العناصر اللازمة لذلك تتلخص في الآتي:

(1) جهة بث وإرسال: إذاعة – تلفاز – صحافة – أو نحو ذلك.

(2) مُرْسِل

(3) مُرْسَل إليه

(4) محتوى أو موضوع

أهمية الإعلام

كانت العملية الإعلامية في الماضي تقوم على الاتصال المباشر، أما الإعلام المعاصر فله وسائله التقنية، وفنونه المختلفة، وسرعة بثه، وقوة تأثيره، وبراعته في تزيين ما يريد تزيينه، وبالعكس، ويتخذ قوالب شتى وأشكالاً مختلفة للتأثير في الجماهير.

لذا، كان من الواجب على المسلمين اليوم إتقان فنون الإعلام، أداءً للواجب، وبلاغاً مبيناً، وإبطالاً لصنع سحرة العصر الحديث من يهود وشيوعيين وعلمانيين وصلبيين.

وقد اهتم الإسلام بموضوع الإعلام من البداية؛ فقد عرفنا أن الحياة بدأت بالأنباء، وهو نوع من الإعلام، بل أساسه: ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾

وستنتهي الحياة كذلك بالإنباء: ﴿يُنَبِّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾

ويدخل في دائرة المضمون العام للإعلام: التبشير، والإنذار، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصدع بالحق، ومواجهة الخصم إعلامياً ودعائياً بمثل ما يواجهها به وأشد، فكل هذا إعلام.

فالتبشير إعلام بالخبر، والإنذار إعلام بالخطر، والصدع بالحق إعلام بما ينبغي للناس أن يلتزموه، وبما ينبغي أن يتركوه.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾

والأذان لغةً هو الإعلام، وعلى هذا شرع الله الأذان إعلاماً بمواقيت الصلاة.

وعندما قويت الدولة الإسلامية، كانت البراءة من الشرك والمشركين "أذاناً" يوم الحج الأكبر:

﴿وَأَذَانُ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾.

وعندما قام المشركون بعملية دعائية إعلامية للتشهير بالمسلمين لما قاتلوا في الشهر الحرام، رُدَّ عليهم بما هو أقوى، وقُلِبَتِ الحجة عليهم. قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ، قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾

إنه يعترف بالحقيقة، ولا يجد غضاضة في ذكرها، ولكنه يعقّب بأن ما فعله الكفار أشد وأفظع:

﴿وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، وَكُفْرٌ بِهِ، وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ، وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾

فالقرآن يُعَلِّمنا أن نَتَّخِذ الأسلوب الرشيد إعلاميًا، بالاعتراف بالحق، والرد على الأعداء بما يُلْجِئهم ويقلب الحجة عليهم.

وقد طلب الرسول ﷺ في خطبة الوداع أن يجعل السامعين من أنفسهم أجهزة إعلام، تتنقل وتبلغ الناس بما سمعوا: ﴿فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمْ الْغَائِبَ﴾

وإن وسائل الإعلام الحديثة قد اختصرت مساحات المكان ومساحات الزمان، وأصبحنا نخاطب أكبر عدد من الناس في أسرع وقت ممكن، وبذلك جعلت العالم كله كأنه قرية واحدة.

وإذا كان الأعداء الذين صنعوا هذه الأجهزة الإعلامية قد سَخَّروها للشر وللخير معًا، بل للشر أكثر، فليس من الحكمة تجنبها بحجة أنها من صنع الأعداء أو أنها تُستخدم في الشر، وإنما المعقول أن نتعلمها ونُسَخِّرها للتعريف بالإسلام، والدعوة إلى فضائله، ونقلب السحر على الساحر.

وإن هذه الأجهزة الحديثة جعلت قوة الدعاية والتعليم والتبليغ في أعلى درجات الفاعلية والإفادة، ويمكن عن طريقها نقل أي موضوع، مهما طال، إلى العالم في ثوانٍ ودقائق.

وأي فكرة، مهما صَغُبت، لا تحتاج إلى جهد كبير لإقناع الآخرين بها وإفهامهم إياها.

وأَتْبَاع الشيطان في عصرنا أنشط منا في استخدام تلك الوسائل الفعالة لإذاعة باطلهم، وإشاعة فسادهم من أقصى الأرض إلى أقصاها، ولم تَحُلِ الجبال ولا البحار ولا الصحاري دون انتقال الأفكار من مكان إلى آخر في لمح البصر.

ولقد أُنشئت للإعلام معاهد وكليات وأقسام متخصصة لدراسته، وتعتمد له الحكومات والدول – على اختلاف ألوانها ونزعاتها – اعتمادات مالية ضخمة، وله في كل دولة وزارة وميزانية، لعلها من أضخم الميزانيات.

وهذا الإعلام هو الذي يرفع أصوات العقائد الصحيحة والفاصلة ويرسّخها في النفوس، ولقد تحوّل الآن في يد أعداء الإسلام إلى وسيلة تدميرية، تنتشر الباطل بحيلها وخداعها، وتُخفي صوت الحق، وتلغو فيه، وتثير الضجيج حول الحقيقة حتى لا يعرفها الناس.

خطورة الإعلام عالميًا

يقول الأستاذ محمد قطب:

"لقد كانت الفتن في الماضي محصورة فيمن يسعون إليها، وتتاح لهم ولكن بصعوبات متعددة. لكنها اليوم ليست أمرًا جَهَارًا فحسب، وليست أسلحة فتاكة فحسب، بل إلى جانبها من وسائل الإعلام – على نطاق واسع – ما لم تعرفه البشرية في تاريخها كله، تظل تُلجَّ على أذهان الناس وضمائرهم في الصحافة، والإذاعة، والسينما، والتلفزيون، حتى يُخيَّل إليهم أن الباطل هو الحق، وأن الحق خيال طائر، ليس له في الواقع وجود (2).

ومع تعدد وسائل الإعلام، والإلحاح في التقدّم التكنولوجي، أصبحت هذه الوسائل أمضى من القنابل، وأخطر من الأوبئة العامة.

أصبحت الإذاعات، والأفلام السينمائية، والتلفزيونية، والصحف، والمطبوعات من أخطر الأسلحة في بث روح الكراهية والانقسام، وبذر بذور الشك بين المسؤولين من الحكام وسائر فئات الشعب.

ومن المؤكد أنها قد أصبحت أسلحة فتاكة في الحرب النفسية، وقد نجحت بالفعل في تأليب الشعوب ضد الحكام، والضغط عليهم لإجراء تغييرات سياسية واجتماعية كبيرة. وكم أسقط من زعيم كبير أو رئيس له وزنه بسبب إشاعة ساقطة روّجتها صحيفة، ولقّقت له التهم والأكاذيب.

ولا يُنكر أحد تأثير استخدام الإذاعة، والصحافة، واللافتات، والملصقات، والنشرات، والكتيّبات، والأفلام كأسلحة نفسية في المعارك الإيطالية. وما زالت كل دولة توجه ما تريد من إذاعات إلى أعدائها ومؤيديها.

(2) جاهلية القرن العشرين، (ص60)، مكتبة وهبة.

ومن خطورة وسائل الإعلام ما تذكره دائماً من تزيين الشر في قلوب الناس، وبيان أنه نوع من الواقعية أو التطور، وأن المناداة بتغييره رجعية وتخلف.

وقد حاولت أن تصرف الناس عن انحرافات التصور، بأن تُصور لهم السلوك الواقعي الذي يعيشونه على أنه قمة الصواب. وإذا ساور الناس شك في بعض الأمور، بأن هذا يخالف الدين أو ما يقضي به الحق والعدل والأخلاق، سارعت هذه الأجهزة بالجواب الجاهز، تذيعه بكل وسائل الإعلام: "ألا تعلم أن هذا هو التطور؟ هل أنت غافل عنه؟ هل ما زلت تعيش بعقلية القدامى؟ هل أنت رجعي؟ إن كل شيء يُحتمل إلا الرجعية!"

وبهذا تُحطّم كل محاولة لبيان ما في هذا الفكر والسلوك من خبث وشر يخلق أرواح الناس⁽³⁾

هذه الخطورة للإعلام، وتدميره للأخلاق، وتزيينه للقبیح، وتقبيح الحسن، حملت بعض المصلحين في الغرب ذاته على أن يرفعوا أصواتهم محذرين من الآثار المدمرة لأفلام الرعب والجريمة في أوروبا، وهي من آثار التوجيه اليهودي لتحطيم شباب أوروبا، وتمييعه، وتجريمه، وبالتالي شباب العالم كله.

وقد قالت الصحافة الفرنسية: "إن أفلام الرعب، والعصابات، ورعاة البقر، هي التي حطّمت معنويات الجيل الجديد."

إن المراهق الفرنسي "آل كابوني" يحلم بالثراء بعد السطو على أحد البنوك على الطريقة الأمريكية، التي يُشترط فيها اختفاء جميع رجال الشرطة تماماً من أمام البنوك لحظة تنفيذ الجريمة. وآراء أخرى تقول إن أسباب انحراف الشباب في فرنسا هي انحلال المجتمع، وعلماء النفس يطالبون بالعلاج الوقائي، ويطالبون بفرض رقابة صارمة على الأفلام السينمائية، وسلسلة الأفلام الإباحية المنحلة التي تُخرجها فرنسا وألمانيا وإيطاليا، ويجب أن تتوقف، وأن يُمنع عرضها. هذه الرقصات الانحلالية يجب أن تُمنع من التلفزيون ومن المحال العامة، ويجب القبض على المنحليين وإيداعهم إصلاحيات يُربّون فيها.

ولا شك أن للعنف المُشاهد في السينما والتلفزيون تأثيراً على الشباب، فلقد شنق صبي في الثالثة عشرة من عمره صديقاً له بجوار أمه، وعندما سُئل عن السبب، أجاب: "لقد رأيت هذا في التلفزيون"⁽⁴⁾

(3) نفس المصدر السابق، (ص111)، بتصرف.

(4) التطور والثبات للاستاذ محمد قطب، (ص168-171). بتصرف.

الإعلام العربي يسير في فلك الغير

ومما لا شك فيه أن الإعلام العربي كله يحذو حذو الإعلام الغربي، وينقل عنه، والإعلام في مصر يحتاج إلى تغيير جذري، وألا يُقلّد الإعلام الأوروبي الهابط.

فمن خلف الستار ما زال يطل "دانلوب" صاحب السياسة التعليمية المستوردة، و"زويمر" المُبشّر العالمي الخطير، و"سارتر" الوجودي الفاجر، وغيرهم، مما يجعل هذا الإعلام خطرًا على البيت المسلم؛ لأنه يُدمّر فضائله ويخفق قيمه.

وقد فطِن أعداء الإسلام إلى خطورة الإعلام في إحداث التغييرات الاجتماعية في المجتمعات المختلفة، وخاصة بعد أن تنوّعت وتقدّمت وسائل الإعلام، لذلك وجّهوها وفق أغراضهم وأهوائهم لمحاربة الإسلام في عقر داره.

ولذلك كانوا أصحاب فكرة إنشاء وتأسيس أجهزة إعلامية كثيرة في عالمنا العربي، ومنه مصر.

لقد وُلِدَ الإعلام العربي في معظم حالاته – إن لم يكن في جميعها – في أحضان مؤسسات أجنبية غريبة في إدارتها وأهدافها وذوقها عن هذه الأمة.

انظر إلى الصحافة والمسرح، وهما أقدم وسائل الإعلام، وقد وُلِدا في أواخر القرن الماضي: من أسسهما؟ ومن أين جاءوا؟ لقد استطاع اليهود أن يُنشئوا الصحف والمجلات والمسارح والإذاعات في العالم كله، وقد تعاقدوا في مصر مع الدكتور طه حسين لإنشاء مجلة الكاتب المصري – كما قال الأستاذ أنور الجندي في كتاب المخططات التلمودية الصهيونية وأثرها في غزو الفكر الإسلامي (ص93).

ومما يكشف لنا عن اهتمام اليهود بوسائل الإعلام، ما جاء في بروتوكولاتهم؛ ففي البروتوكول الثاني عشر، يرسمون المنهج الذي سينتهجونه في تعاملهم مع الصحافة. جاء فيه:

"الدور الذي تلعبه الصحافة في الوقت الحاضر أن نقوم بتهييج العواطف الجياشة في الناس، وأحيانًا بإثارة المحاولات الحزبية الأنانية التي ربما تكون ضرورية لمقاصدنا، وما أكثر ما تكون فارغة، ظالمة، زائفة، ومعظم الناس لا يدركون أغراضها الدقيقة إلا قليلاً. إننا سنُسْرِجُها وسنقودها بلجمٍ حازمة، وسيكون علينا أيضًا أن نظفر بإدارة شركات النشر الأخرى، فلن ينفعنا أن نهيمن على الصحافة الروائية بينما لا نزال عرضة لهجمات الناشرين".

وهل تفعل أجهزة الإعلام غير هذا الذي خطط له أبناء صهيون؟!!

إن الإعلام العالمي بوجه عام، والعربي بوجه خاص، يخدرنا ويحسن الشر ويزينه في قلوبنا، ويباعد بيننا وبين الخير. وكم الهى مصلي عن صلاته وأباً أو أما عن اولادهما، وأصبح الدعاة إلى الله غرباء في مجتمعاتهم، أو ما لأم يوجد وليدها، تُربيه، يدبُّها لتُربيه في أحضان من لا يُحسن تربيته، أو يُربي في البحر أو يُلقى في النار.

ولذلك لم يكن عجباً حين سئل زعيم الكفر والإلحاد - كارل ماركس - كيف ينسى الناس التفكير في الله؟ فكان جوابه: "نُنسيهم التفكير في الله بالمرح أو الهموم".

الأضرار الناتجة عن الإعلام

إذا كان للإعلام بعض المحاسن، فإن أضراره كثيرة، بل ضرره أكثر من نفعه. من محاسنه أنه ينقل إلينا الأخبار العالمية بسرعة، لكنها أحياناً ما تكون مليئة بالكاذيب. كما ينقل إلينا بعض العلوم والمعارف، ويطلعنا على ما جد من أبحاث ونظريات، لكن أغلب ذلك إنما يكون عن طريق النشرات العلمية والكتب والمجلات المتخصصة في مجالاتها. أما الإذاعة والتلفزيون والمسرح والصحافة والمجلات المختلفة، فإن ما فيها من نافع لا يساوي شيئاً بجانب سمومها الخبيثة. ولذلك تعددت الأضرار الناجمة عنها ما بين أضرار اقتصادية ودينية وأخلاقية وفكرية واجتماعية.

الأضرار الاقتصادية

إن أضراره الاقتصادية أمر لا شك فيه، وإن كانت غير مباشرة وظاهرة للعيان، لكنها واقع لا ينكره إلا مكابر، خاصة بالنسبة لنا نحن المسلمين.

لقد كان البيت المسلم يصحو من نومه مبكراً ليزاول كل فرد فيه نشاطه، وينام مبكراً ليستعيد نشاطه في اليوم التالي، ليطبق قول الله تعالى: ﴿وجعلنا نومكم سباتاً، وجعلنا الليل لباساً، وجعلنا النهار معاشاً﴾. ويتبع قول النبي صلى الله عليه وسلم لفاطمة، وقد مر عليها وهي مضطجعة في مرجلها، ثم قال: "يا بنية، قومي اشهدي رزق ربك، ولا تكوني من الغافلين، فإن الله يقسم أرزاق الناس ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس⁽⁵⁾.

إذ أن الجادين والكسالى يتميزون في هذا الوقت، فيعطي كل امرئ حسب استعداده من خير الدنيا والآخرة⁽⁶⁾. كما كان عليه الصلاة والسلام يقول: "اللهم بارك لأمتي بكونه⁽⁷⁾.

والآن، أجبرت أجهزة الإعلام، خاصة التلفزيون، الناس على السهر، واضطرتهم إلى الاستيقاظ من نومهم متأخرين، كسالى وخاملين. فالزارع لا يبارك له في زرعه، والصانع لا يتقن صناعته، والموظف لا يقضي أو لا ينجز حوائج الناس كما ينبغي. أليس في ذلك وغيره ضرر ظاهر على الإنتاج؟ كما أن هذا السهر الطويل يؤثر على صحة الناس، والصحة المعلولة لا يُنتظر من ورائها خير في الاقتصاد.

(5) رواه البيهقي

(6) خلق المسلم للشيخ الغزالي، الطبعة العاشرة

(7) ابوداود

ومعلوم أن الاقتصاد هو الذي يسير حركة البلاد، وعلى الدولة أن تزيل العوائق التي تحول دون تنميته، ومنها سهرات الإذاعة والتلفزيون والسينما والمسرح وغيرها.

الأضرار الدينية والأخلاقية والاجتماعية

إن الأضرار الدينية والأخلاقية الناجمة عن أجهزة الإعلام المختلفة أشد خطرًا وأبلغ أثرًا على الفرد والمجتمع.

كان البيت المسلم يحرص على الحلال من الرزق، وكانت المرأة توصي زوجها قبل خروجه من بيته إلى عمله صباحًا: "اتق الله ولا تكسب حرامًا، فإننا نصبر على الجوع ولا نصبر على حر جهنم." فإذا عاد آخر النهار، وجهت إليه سؤاليين في غاية الأهمية: "ماذا نزل اليوم من القرآن؟" وكم حفظت من حديث رسول الله ﷺ؟

أما الإعلام اليوم فقد أصبح حربًا على هذه المجتمعات وقيمها، كما خطط لها أعداء الإسلام، وسار حسب ما خطط له.

فمثلاً، يُصر على أن نقدم للبيوت وجبات سامية تصرف عن الدين وتنسي التفكير في رب العالمين، ولا تلتزم بدين ولا ترتبط بقيم. بل إنها تحمل معاول الهدم في دأب وهمة في أفلامها وقصصها ومسرحياتها.

فهذا فيلم "أريد حلاً" ماذا يقدم لنا غير السخرية من نظام الطلاق الذي شرعه الله ورسم له حدوده وضوابطه؟ ويهاجم نظام النفقة ويتعرض لتعدد الزوجات. وأفلام نجيب الريحاني التي تسخر من اللغة العربية ومن مدرستها، كما تسخر كثير من الأفلام من علماء الدين وتظهرهم في صورة مهزوزة أو هازلة، لينفر الناس منهم وبالتالي لا يسمعون لوعظهم ونصائحهم، وتُخلى الساحة للشياطين الإنس ليفعلوا ما يشاءون.

وفيلم "أفواه وأرانب" يسخر من كثرة النسل وكأن النسل بأيدينا لا بيد الله. وإعلانات تنظيم الأسرة التي تمس مشاعر الناس في عقائدهم أحياناً. كذلك الإعلان الذي كان يقول "أنا جاي أعلمك إزاي تجيب العيال في الوقت المناسب وبالعدد الذي تريده" وكأن الإنسان يفتح مصنعاً لتفريخ الأولاد، يكثر منها أو يقل حسب متطلبات السوق.

وحكاية بيزوا وسها هانم، ونجم الموسم، ومعبودة الجماهير، ولا أنام، والحب الضائع، ومدرسة المشاغبيين، تلك المسرحية التي مرغت كرامة الآباء في الأقدام، وقلبت القيم رأساً على عقب.

وأفلام أخرى تعلم البنات الانفلات والانطلاق بلا قيود، لأن البنات تعدّت السادسة عشرة من العمر، أو لأنها أصبحت طالبة في الجامعة، فلا ينبغي أن تخشى الرقيب. وإن حصاد الأفلام والمسرحيات في فترة قصيرة من الزمن، منذ سنوات قليلة، يثبت أن الذي يخدم قضية الجنس والغرام، ويهدم قضية الدين والفضيلة، يمثل 99% من هذه الأعمال، وكأن الشعب متفرغ من جميع مشاكله ومتاعبه، وأصبح لا يواجه إلا مشاكل الحب والجنس. أما الإسلام المضيق بين أهله، فهو بيت القصيد، إليه توجه كل الحراب وتصوب كل سهام. وأما العلاقات الاجتماعية، فيجب أن تهدم رأساً على عقب.

ألم يشاهد الناس في التلفزيون تمثيلية "الأفعى" التي شدّت الجمهور ببراعة إخراجها؟ كانت دعوة علنية إلى الخيانة الزوجية والكراهية وتدمير الآخرين، وتدمير المجتمع كله. في المسلسل نجد زوجاً يخون زوجته مع جارتها، كما نجد عشيقته إنسانة معقدة لا تحب هذا الزوج – أي عشيقها – بل تريد تدميره وتدمير نفسها وتدمير المجتمع كله. وتبلغ المهانة بالزوج إلى درجة أنه يطلق زوجته التي تذهب وتعيش مع أمها، ويتردد عليها هناك ابن خالتها الذي يبقى الزواج منها، ولكنها تأبى إلا أن يفكر زوجها في خيانتها ويهمل ابن خالتها عمله كطبيب ليعطيها كل وقته. وتضطر، بعد أن يئست من زوجها، إلى قبول الزواج من ابن خالتها بعد هذا الشوط من الخيانة. ثم فجأة يصحو الزوج من خيانتها وينسحب من حياة العشيقة التي تنتحر، ويعود الزوج الخائن إلى مطلقته التي توافق على ذلك. وتبين التمثيلية أن ابن خالتها استطاع أن يدوس على قلبه ومشاعره، وينسحب من حياته من أجل عودة الزوج الخائن الذي داس على كرامتها من قبل.

يقولون: "الشعب عايز كده"!

فهل قبل الشعب هذا المسلسل؟ كلا، كلا.

وما ذاك إلا للأسباب الآتية:

- 1) عدم واقعيتها، لبُعدها عن مشكلات المجتمع.
- 2) غرس الحقد والكراهية، في وقت نحن أحوج ما نكون فيه إلى الحب والتعاطف بمعناه الراقى.
- 3) تعليم الشباب أن طريق الخيانة سهلٌ ميسور، لا حدود له.
- 4) تعليم الزوجات الشك في جاراتهن، لأن الزوج قد خان زوجته مع جارتها.
- 5) الهبوط بكرامة المرأة إلى الحضيض.
- 6) الإيحاء بأنه لا ضرر مطلقاً من نقض العهود والتكرار للوعود، حتى ولو تعلقت بالزواج.

فهل هذا ما يهدفون إليه؟ ألا ساء ما يعملون.

كما يُلاحظ أن جميع البرامج المثيرة تُعرض في أوقات الصلاة، لصرف الشباب عن التوجه إلى المسجد، حتى في شهر رمضان. فالفيلم العربي يُعرض وقت العصر، وهو غالبًا فيلم جنسي يُفسد على الصائم صومه، والفوازير تُعرض عقب طعام الإفطار، وأغلب المشاهدين لم يكونوا قد أدوا صلاة المغرب بعد، وتستمر الفوازير والمسلسلات حتى تضيع صلاة العشاء والتراويح. وبهذا يتضح مقصد الإعلام عند الأعداء؛ فهو يهدف أولاً إلى تمويت ضمير الأمة، وإضعاف الوازع الديني، وتحقير الدين في صورة علمائه. كما يهدف ثانياً إلى محو آثار الوعظ من قلوب ونفوس المسلمين، وهو أمر له أهميته القصوى، فمن المعلوم أن المسلمين في مجموعهم لا يتخلفون عن صلاة الجمعة، وقد يسمعون عظة تذكّرهم بما نسوه أو تنبههم إلى ما غفلوا عنه، فإذا عادوا إلى بيوتهم تلقّفتهم وسائل الإعلام المريضة بما يهدم ذلك في لحظات. الفيلم، ثم المسلسل، ثم الكرة، ثم السهرة، ويتخلل ذلك ما يتخلله من أغنيات وفيلّات ومناظر تُنسي الناس ما سمعوه من خطبة الجمعة، وتُصيب أخلاقهم بالفساد، وفكرهم بالترهل، ثم نسمع من يلوم العلماء لأنهم لا يؤدون رسالتهم – كما يزعمون.

يقول الدكتور يوسف القرضاوي:

إن أجهزة التأثير المضادة لمنبر الوعظ أصبحت أعظم خطراً وأبعد أثراً، فلم تعد الكلمة المسموعة – بصفة عامة – وحدها هي العنصر المؤثر في التوجيه والتغيير. فهناك الكلمة المكتوبة، التي تفيض بها أنهار الصحف اليومية، والمجلات الأسبوعية والشهرية، والكتب الدورية وغير الدورية، مما تقذف به المطابع للقراء في كل مكان.

وهناك الكلمة المسموعة مع الصورة المشاهدة في التلفزيون والسينما والمسرح، وتأثيرها أفعل وأقوى وأنفذ، لاجتماع حاستي السمع والبصر على التأثير بها، ولتكرارها اليومي، ومصاحبتها للناس ساعات طويلة كل يوم، حتى في مخادعهم.

حتى الكلمة المسموعة نفسها، لم تعد مقصورة على خطبة المنبر أو درس المسجد، بل أصبحت تُذاع على الناس من خلال المذياع، في صورة برامج متنوعة: إخبارية، وثقافية، وترفيهية، يُستخدم فيها الشعر والنثر، والقصص والحوار، مع التمثيل والغناء والموسيقى، وكل ما يُحيطها بقوة التأثير والنفوذ إلى العقول والقلوب.

فليت شعري، ماذا عسى أن تصنع خطبة الجمعة أو درس الواعظ أمام هذا السيل من الكلام المسموع والمقروء والمكتوب؟!!

ماذا يُغني المنبر أمام المذيع والتلفاز والمسرح والخيالة (السينما) والصحيفة والمجلة وسائر أجهزة الإعلام والتأثير؟

وكم يكون تأثير الواعظ البليغ إذا كانت هذه الأدوات الجبارة، والأجهزة المخدومة، تسير في اتجاه غير اتجاهه، وتعمل لمهمة غير مهمته؟!
وقديماً قيل:

متى يبلغ البنيان يوماً تمامه * إذا كنتَ تبنيه وغيرك يهدم.

وهنا تساوت دائرة البناء بدائرة الهدم، فكيف إذا كان عدد الهدّامين أكثر، وطاقتهم أكبر، وطريقهم أيسر؟

فالهدم بطبيعته أخف وأسهل، حتى قال الشاعر:

ولو ألفُ بانٍ خلفهم هادمٌ كفى * فكيف ببانٍ خلفه ألفُ هادم.

وقد قال الشاعر ذلك في هدامين أدواتهم المعاول والفؤوس، فكيف لو رأى الهدّامين في عصرنا وأدواتهم الألغام والمواد الناسفة، التي تُحيل ناطحات السحاب في لحظات إلى تراب؟! وما أشبه الهدم في المعنويات بالهدم في الماديات.

وهذه الأجهزة تهدف ثالثاً إلى إيجاد جو من عدم الثقة داخل الأسرة المسلمة.

فعن طريق وسائل الإعلام، وخاصة التلفاز، يشاهد الرجل غير زوجته: أجمل، وأظرف، وأحسن تصرفاً، وأكثر تقرباً إلى أزواجهن أو أصدقائهن، فيجعله هذا غير راضٍ عن زوجته، أو كارهاً لها.

وكذلك الأمر بالنسبة للمرأة؛ ترى رجالاً أكثر وسامة، أو أطول قامة، أو أغنى مالاً، أو ما يجعلها غير راضية عن حياتها مع زوجها، وبهذا تحدث شروخ داخل الأسرة المسلمة، أو توضع قنابل زمنية سرعان ما تنفجر.

وهذا بالإضافة إلى ما يتعلّمه الأولاد من حوادث النصب، والسرقة، والجرأة على الأبوين. كما توحى هذه الأجهزة إلى المرأة بأنها أصبحت نداءً للرجل، وعليها أن تُعامله بالمثل، وفي هذا تمرد على القوامة الفطرية التي خلق الله عليها الرجال والنساء، وتمرد على شرع الله.

الأضرار الفكرية:

إن معركة الإسلام مع أعدائه اليوم – كما يقول الدكتور القرضاوي – معركة فكرية في الدرجة الأولى، وأخطر أنواع الاستعمار اليوم هو الاستعمار الفكري؛ فهو استعمار لا يحتل الأرض،

بل يحتل العقل، ولا يستخدم المدفع، بل يستخدم القلم، ولا يقول للمسلمين: اعزلوا الإسلام عن الحياة، بل يُرَبِّي أبناء المسلمين على أفكاره ليقولوا لهم ذلك بالسنتهم وأقلامهم. ولقد نجح الاستعمار، بأجهزته العلمية الضخمة، أن يُرَبِّي أجيالاً تُقَدِّس مفاهيمه وقيمه وتقاليده، وتعيشها بالفعل، شبَّ عليها الصغير وهرم عليها الكبير، حتى أصبحت هي الأصل، وغيرها هو الطيش، وبانت هي المعروف وما عداها هو المنكر. وهذا شرٌّ ما يُصيب المجتمع المسلم، أن تنقلب فيه الموازين، فيُصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً، ثم يتعاضم الأمر حتى يُؤمر بالمنكر ويُنهى عن المعروف.

يقول الدكتور القرضاوي:

"إن التخريب الذي أحدثه الاستعمار في ديارنا الإسلامية ليس هيناً ولا سطحياً، إنه من غير شك تخريب هائل وعميق.

ولا أعني التخريب في الحياة المادية والاقتصادية، فهذا يهون بجوار التخريب الآخر... التخريب في الأنفس والضمائر والعقول، وفي الحياة الروحية والاجتماعية." لقد غيّر المفاهيم الأصيلة في الأمة، مستبدلاً بها مفاهيم غربية مستوردة لا تمتّ إلى تراث الأمة بصلة، حتى وجدنا في أبناء الأمة من يُنكر أن يكون للإسلام علاقة بالدولة، أو بسياسة الحكم، أو سياسة المال.

وقد سمعنا شعار: «لا سياسة في الدين ولا دين في السياسة»، وأيضاً شعار: «الدين لله والوطن للجميع»، وهي الشعارات العلمانية التي رفع رايتها كمال أتاتورك.

ثم يقول: «ووجدنا من يدعو إلى إباحية الربا (باعتباره أساس الاقتصاد العالمي)، ومن يستنكر تحريم الخمر، ومن يُحرّض على إباحة الجنس، ومن يُسجن لعصيانه، فيُوصم التزمت والتدين بالرجعية، ويُسمى الانحلال حرية، والتبعية لهذا المعسكر أو ذاك تقدمية، كما أصبح الرقص يُسمّى فناً، والخمر مشروبات روحية».

ثم يقول: ووجدنا من تمشي عارية المنكبين والساقين والركبتين، متأبطة ذراع رفيق، لا تخشى من خالق ولا تستحي من مخلوق، بحجة تطور الزمن وحاجة المرأة إلى الخروج والعمل. ووجدنا من رجال المسلمين من يطالب بتقييد تعدد الزوجات في الحلال، في حين يبيح القانون الوضعي تعدد الخليلات في الحرام. ورأينا من جرّؤ على المناداة بالمساواة بين الذكر والأنثى في الميراث. وقرأتُ لأحدهم كلاماً يُدغدغ فيه عواطف المرأة، ويزعم أن ظروف العصر الأول الذي نزل فيه القرآن قد تغيرت، وكذلك وضعها الاجتماعي، فلا يصح أن تكون شهادة المرأة تعدل نصف شهادة الرجل.

يقول الدكتور سعيد النجار: إن الإسلام قَدَّر المرأة وكرَّمها، وبقي يتحدث عن تكريم الإسلام للمرأة بكلام طيب ليصل إلى مآربه، فقال: «غير أن هذا التكريم كان بداية التاريخ لا نهايته... ولم يكن من المعقول أن ينتقل بها القرآن مرة واحدة من لا شيء إلى كل شيء... وعلى المسلمين أن يستكملوا المسيرة».

ثم أوضح: «أن الظروف الاجتماعية التي اقتضت أن تكون شهادة المرأة نصف شهادة الرجل في بعض المعاملات كانت مختلفة كل الاختلاف عن ظروف اليوم، إذ كيف يستقيم أن تكون شهادة خريجة الجامعة أو أستاذة فيها أو وزيرة، تعادل نصف شهادة رجل جلف لم يحصل على ذرة من التربية والتعليم».

وهو يتجاهل طبيعة المرأة، وأن كونها وزيرة أو أستاذة لا يغير من طبيعتها في شيء، ولو كان الموضوع موضوع ثقافة وأمية، لكان من الواجب أن نفرق كذلك بين المتعلّقات أنفسهن، فالمرأة المحامية مثلاً أولى بالشهادة في العقود من عدة مهندسات أو طبيبات؛ لأنها أدرى منهن بموضوع التعاقد. ولكنه الفكر الخبيث يُبث عبر أجهزة الإعلام.

وقد عملت المؤسسات المشبوهة عملها في التهوين من فضيلة العفاف، والتحريض على التحلل من عرى الأخلاق، واستخدمت كل الوسائل من الصورة والخبر والأغنية والقصة والفيلم والتمثيلية والزي المغربي والسهرات المختلطة. وأصبحت القيم الأصيلة والعقائد العميقة تواجه محنةً شديدة، فقد صارت موضحة قديمة، وأصبح المتمسكون بها رجعيين متخلفين. وتكاثفت الصحافة والخيالة (السينما) والمسرح والإذاعة والكتب وغيرها من المؤسسات التوجيهية والإعلامية على السير في هذا الاتجاه، إغراءً للرجال بالمجون والفجور، وإغراءً للمرأة لتمردها على فطرتها الأنثوية، وتشبيهها بالرجال، ومنافستهم. والعجب أن يتم كل هذا تحت عنوان براق هو "الحرية الشخصية" بمفهومها الغربي الغريب على أمة الإسلام.

الإعلام والاستشراق والتبشير

الاستشراق والتبشير عنصران من عناصر الهدم للإسلام، وإذا كان الاستشراق قد اتخذ طريق البحث العلمي، والتبشير قد سلك طريق العلاج والتعليم والمساعدات الاجتماعية، فإن كلا منهما يُعدّ ردةً للآخر في الوصول إلى الهدف.

والاستشراق، منذ أن بدأ تمهيداً للزحف التبشيري والاستعماري، أدرك المستشرقون فيه أهمية الإعلام، فاستكثروا من المجلات والدوريات الشهرية، ولهم أكثر من ثلاثمائة مجلة متنوعة خاصة بالاستشراق، منشورة بمختلف اللغات.

وقد بلغت مؤتمرات المستشرقين الدولية، من عام 1873 إلى عام 1964، ستة وعشرين مؤتمراً، ونشروا أبحاثهم في مجلات متخصصة، للاهتمام بها كنظم ومناهج ووسائل. ثم أصبحت دراسات مؤتمراتهم تلك أصولاً وأمّهات للباحثين.

وهذه الدراسات لها أغراض مشبوهة، سواء ما تعلق منها بعقيدة المسلمين، أو بشخصية الرسول ﷺ، أو بالحروب في الإسلام، أو بالقرآن الكريم بزعم أنه من تأليف محمد ﷺ.

ولكي لا يكون المبشرون تحت رحمة الصحفيين أو خاضعين للصحف الرسمية والحكومات، أنشؤوا في العالم صحفاً يومية أو أسبوعية خاصة بهم، كما أقاموا "المطبعة الأمريكية" في بيروت، التي أصبحت من أهم وسائل التبشير في الشرق كله.

ومن وصايا المبشرين في المؤتمر المنعقد في زامبيا في الآونة الأخيرة: إنشاء محطة إذاعية جديدة، كما أوصى المؤتمر وزارة الإعلام بضرورة تشكيل كادر إفريقي من الصحفيين والدعاة الدينيين المؤهلين لنقل رسالة المسيح عليه السلام.

ثم إن المبشرين يدركون خطورة الإعلام وآثاره القوية في محاربة الأفكار والمعتقدات، والترويج لأفكار أخرى يرون استبدالها بغيرها، ولذلك ركّزوا على الصحافة واهتموا بأعمال الطبع والنشر. وقد اعترفوا بأنهم استغلوا الصحافة المصرية على الأخص للتعبير عن الآراء المسيحية أكثر مما استطاعوا في أي بلد إسلامي آخر.

ولقد ظهرت مقالات كثيرة في عدد من الصحف، إما مأجورة في أكثر الأحيان، أو بلا أجر في أحوال نادرة.

كما أن المبشرين أنشأوا في العالم صحفاً يومية وأسبوعية خاصة بهم، فهناك "بشائر الإسلام" و"***الشرق والغرب***" في مصر، وأيضاً جريدة "وطني".

وقد اتخذ المبشرون مدينتين كبيرتين لنشر كتبهم وصحفهم: القاهرة وبيروت.

أما القاهرة، فقد اتخذها البروتستانت مركزاً لتوزيع المنشورات في القطر المصري وفي جميع أنحاء العالم الإسلامي، كما أنهم أقاموا المطبعة الأمريكية – كما أشرنا من قبل – في بيروت، تلك المطبعة التي أصبحت أهم وسائل التبشير في الشرق كله. أما اليسوعيون، فقد ركّزوا جميع جهودهم في المطبعة الكاثوليكية في بيروت منذ عام 1871.⁽⁸⁾

(8) حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، (ص167-168)

ماذا نعمل؟

إزاء هذه الأخطار المحدقة، يتبين لنا ما يلي:

- (1) أن الإعلام وسيلة من أخطر الوسائل في التأثير على الرأي العام وتربية النشء، ووضع الخطوط العميقة لمعتقدات الناس وأفكارهم وأخلاقهم، وإذا لم يسر هو وجميع طرق التربية ووسائلها في المجتمع الإسلامي في خط سليم واحد، فإنه كفيل بأن يهدم كل ما بينه غيره.
 - (2) أن الدعوة الإسلامية في حاجة إلى استخدام جميع الوسائل ذات التأثير على الجماهير، ليسمعوا الدنيا صوت الإسلام ويطلعوها على صورته البراقة.
 - (3) أن الاستعمار والصهيونية والشيوعية كانوا أسبق إلى إدراك خطورة وسائل الإعلام الحديثة، وقد برعوا في علوم الإعلام وتفننوا في وسائله إدارةً وطباعةً وتصويرًا، وتملكوا مصادره تملكًا أقرب ما يكون إلى الاحتكار، أما وسائل الإعلام الإسلامية فما زالت تحبو، بينما سبقتها وسائل الإعلام المدنية، لذا ينبغي العمل الحثيث على اللحاق بالآخرين.
 - (4) إن الإصلاح المادي يعتمد على إيقاظ الرأي العام ودفعه ليتبنى قضايا الإصلاح، وتحويلها إلى مطالب شعبية تُطالب الجماهير بتحقيقها، لأن الدعوة إلى الإصلاح تكون أكثر تحقيقًا عندما يتبناها قطاع كبير من الناس.
 - (5) إن العوامل الدينية ما زالت تحتل الصدارة في تكوين معتقدات الناس وتشكل أخلاقهم وميولهم، لأن التدين فطرة فطر الله الناس عليها، ولكن الأمر يحتاج إلى معرفة أفضل الوسائل واستخدامها في تحبيب الناس في دينهم وتقريبهم إلى الله.
 - (6) يجب العناية بلغة القرآن، اللغة العربية، لأن الحرب على اللغة العربية وآدابها حرب قائمة، وإن كانت تُعلن حينًا وتُخفى حينًا آخر، وهي حرب على الإسلام في المقام الأول، لأن الناس إذا جهلوا لغة الإسلام جهلوا كتاب الله وسنة رسوله، فيقعون في الخلط والنسيان والاضطراب. ولذلك يولي المبشرون والمستشرقون عناية كبيرة ببعث العامية ونشرها، ومحاولات طمس الرغبة في التعرف على الأدب العربي.
 - (7) لا بد من تربية مجموعة من الشباب المسلم على إجادة العمل الإعلامي، ليثبتوا في دور الإعلام المهمة، في محاولة للتأثير فيها من جانب، ويعملوا على النهوض بوسائل الإعلام الإسلامية حتى لا تظل متخلفة عن غيرها.
- وبذلك نسير في خطين متوازيين يلتقيان في النهاية على رفعة شأن الإسلام والمسلمين.

ومن المقترحات في هذا الشأن:

(1) أن تقوم الدول الإسلامية بإنشاء دار للصحافة العالمية، تصدر جريدة يومية إسلامية بجميع اللغات العالمية المشهورة، وإلى جانبها مجلات أسبوعية، ونصف شهرية، وشهرية، ودورية، وحولية، ولكل منها صبغة تكمل الأخرى من حيث تناول الموضوعات وطريقة بحثها واختيارها.

(2) أن يشارك كبار أغنياء الأمة في رأسمال كبريات الصحف والمجلات، حتى يشكّلوا قوة مؤثرة في مسار هذه الصحف، فيدفعوها نحو الإصلاح، ويمنعوها من نشر ما يزعزع إيمان المسلم بدينه، كما يفعل اليهود.

(3) أن تتخذ الشركات الإسلامية أسلوب الإعلان في الصحف والمجلات كوسيلة للضغط عليها لإصلاح اعوجاجها، كما يفعل اليهود.

(4) تشديد الرقابة على كل ما يُذاع أو يُنشر، خاصة في التلفزيون، حتى لا تشيع الفاحشة والتقاليد غير الإسلامية (9)

(5) وينبغي العمل على إنشاء محطة إذاعية إسلامية عالمية، تنشر تعاليم الإسلام، وترد على أباطيل خصومه، وتستخدم في ذلك الكلمة، والحوار، والتمثيلية، والأغنية الهادفة، كما ترد على فتاوى المسلمين في سائر أنحاء العالم. ويُبثّ كل ذلك بجميع اللغات، وتكون لها نواة في مصر تُعرف بالبرامج الموجّهة. وهكذا تتضافر الجهود في العمل الإعلامي الإسلامي ليؤدي دوره كما ينبغي، ابتغاء وجه الله الكريم.

ذلك أن من المعلوم أن أجهزة الإعلام في أي مجتمع إنما تعبّر عن قيمه وتعمل على تحقيق أهدافه؛ فالإعلام الشيوعي يعبّر عن الشيوعية ويؤدي أهدافها، ولا يمكن أن يفعل خلاف ذلك، والإعلام الرأسمالي كذلك يؤدي أهداف الرأسمالية، وكذلك الإعلام الصهيوني والهندوسي. والمفترض في المجتمعات الإسلامية أن يعبّر الإعلام عن قيم الإسلام وفضائله، وأن يعمل على تحقيق أهدافه، على الأقل داخل بلاده. لكن الواقع يقول غير ذلك، إذ إن أغلب ما فيه يعمل على هدم قيم الإسلام وفضائله، والجرعات الدينية القليلة لا تأتي إلا ذرًا للرماد في العيون.

(9) دور الإعلام في الدعوة الإسلامية (ص479).

موجز لما سبق في البحث

الإعلام هو تزويد الناس بالأخبار والمعلومات الصحيحة، والحقائق الثابتة التي تسهم في تكوين رأي صائب، ونشر المعتقدات والأفكار، سواء أكانت صحيحة أم فاسدة. ويقابله في الإسلام الإبلاغ أو التبليغ.

وعناصر الإعلام أربعة:

- (1) جهة بث وإرسال
- (2) مُرسل
- (3) مُرسل إليه
- (4) محتوى أو موضوع

وللإعلام أهمية عالمية ومحلية كبيرة.

وقد اهتم الإسلام بالإعلام، وعرفنا أن الحياة بدأت بالإنباء، وستنتهي بالإنباء كذلك. ويدخل في مضمون الإعلام: التبشير، والإنذار، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

وللإعلام خطورته العالمية؛ فهو ينشر الشر كما ينشر الخير، ولكن ضرره غالبًا ما يكون أكبر من نفعه، إذ يزيّن الشر في قلوب الناس ويظهره على أنه واقع لا بد منه، ويعمل على تدمير الأخلاق وتغيير المعتقدات والأفكار.

أما الإعلام العربي، فهو يسير في فلك الإعلام العالمي، وقد نشأ في أحضان مؤسسات أجنبية وبأيدٍ يهودية. أما الأضرار الناتجة عن الإعلام، فهي كثيرة، منها:

- (1) الأضرار الاقتصادية: وهي واقعية، وإن كانت غير مباشرة، إذ إن وسائل الإعلام، وخاصة الإذاعة والتلفاز، تحمل الناس على السهر الطويل، والاستيقاظ في وقت متأخر، وهذا من أهم عوامل الانحدار في الإنتاج وتعطيل مصالح الناس.
- (2) الأضرار الدينية والأخلاقية والاجتماعية: فالإعلام ينشر وجبات تسمّم القلوب والأرواح، وتصرف الناس عن الدين، وتُنسِيهم التفكير في رب العالمين، كالأفلام الرخيصة، والأغاني الهابطة، والرقصات التي تثير الغرائز الهائجة، واختيار أوقات الصلاة لبثّ هذه السموم. كما يسخر من علماء الدين، ومن مسلمّات الدين ذاته، كقضية تعدد الزوجات، والطلاق، والنفقة، والقيود أو الضوابط اللازمة لحماية المجتمع من الأمراض. ويُعلّم الشباب أن طريق الخيانة سهل، ويغرس الحقد والكراهية في النفوس، ويُبَرِّر الخيانات الزوجية، كما يُعلّم نقض العهود والمواثيق، ويمحو آثار الوعظ من قلوب ونفوس المسلمين، ويميت ضمير الأمة، ويضعف

الوازع الديني. هذا بالإضافة إلى ما يتعلمه النشء من حوادث النصب والسرقة والجرأة على الأيوين. كما يُوحى إلى المرأة أيضًا أنها نذ للرجل، ومساوية له في كل شيء، ومن ثم لا ينبغي أن يكون نصيبها أقل من الرجل، سواء في الميراث أو في نصاب الشهادة في المعاملات المالية، وغير ذلك من المفاقد والأضرار.

(3) الأضرار الفكرية: إن أخطر أنواع الاستعمار اليوم هو الاستعمار الفكري، ولذلك عمل الاستعمار مبكرًا، قبل أن يرحل، على أن تظل أفكاره مستعمرة لعقول البلاد المحتلة، وقد نجح بأجهزته العلمية الضخمة في أن يُنشئ أجيالًا تقدّس مفاهيمه وقيمه وتقاليده، وتنقشها في العقول.

وقد استطاع أن يُغيّر المفاهيم الأصلية في الأمة، حتى أصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً، فشاعت أفكاره مثل: «لا سياسة في الدين، ولا دين في السياسة»، و«الدين لله، والوطن للجميع». وتبدّلت مفاهيم الناس حول الربا والرشوة والرقص والأغاني، وسمّوا كل ذلك بأسماء أخرى؛ فالربا "فائدة"، والرشوة "عمولة"، والرقص "فن"، والخمر "مشروبات روحية"، والعري "حضارة"، والتدين "رجعية"، والانحلال "حرية". فأصبحت القيم الأصلية والعقائد الصحيحة العريقة تواجه محنة خانقة.

وقد استطاع المستشرقون والمبشرون أن ينشروا، عن طريق أجهزة الإعلام، ما يشاءون من التبشير بالنصرانية، والتهوين من شأن الإسلام، والتشكيك فيه، وفي نبيه ﷺ، وفي القرآن ذاته، وتشويه الحروب الإسلامية، وإشاعة أن الإسلام دين دماء وحروب، لا دين فتح ورحمة.

وإزاء هذه الأخطار، لا بد من عمل وقائي وهجومي في وقت واحد، وذلك بما يلي:

(1) لا بد من استخدام جميع الوسائل الإعلامية ذات التأثير الجماهيري، لتُسمع الدنيا صوت الإسلام، وتُطلع العالم على صورته المشرقة.

(2) إيقاظ الرأي العام، ودفعه لتبني قضايا الإصلاح، لأن الدعوة إلى الإصلاح تكون أكثر جدية عندما تتبناها الجماهير.

(3) تأصيل اللغة العربية في المجتمع.

(4) العمل على إنشاء صحافة عالمية، ومحطة إذاعية عالمية تبث بجميع اللغات.

(5) العمل على إيجاد كوادِر إعلامية عالمية تتقن العمل في المجال الإعلامي لخدمة الإسلام.

(6) تشديد الرقابة على كل ما يُذاع ويُنشر، خاصة عبر "الشاشة الصغيرة" (التلفزيون)، حتى لا تشيع الفاحشة في المجتمع، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

محمد محمود ندا

هذا، ومن الله التوفيق.